

١١ - بين القاهرة وطوس

اصفهان

« نصف مبراه »^(١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

خرجنا من قم والساعة ثلاث بعد الظهر ، سائرين الى الجنوب
تلقاء أصفهان ، وبين قم وأصفهان ٢٨٢ كيلاً ، فما زلنا نضرب
في سهوب مترامية تمرها قرى قليلة ، حتى قطعنا ٩٢ كيلاً في
ساعتين ، فبلغنا قرية دليجان ، وهي قرية كبيرة على الجادة يبدو
عليها الفقر ، وبيوتها كغيرها من قرى إيران ، مستنمة السقوف ،
مطينة الجدر ، فاذا رأيتها على بعد حسبنا قبوراً عالية . وقفنا
في القرية على بناء كتب عليه بالانكليزية أنه مطعم ومشرب
شاي ، وهو طبقتان في كل واحدة حجرتان ، للطبقة العالية
سلم من اللبن يهبط الى الطريق

دخلنا فقدم لنا الشاي والبطيخ ، واسترحنا قليلاً ، ثم
ركبنا سيارتنا وقد كادت الشمس تقرب . قلنا : كم بيننا وبين
أصفهان ؟ قيل أربع ساعات ، وبين دليجان وأصفهان ١٩٠
كيلاً . وقال سائق السيارة لصاحب المطعم سنمر بك بعد غد ،
فهيهنا لنا دجاجة وحساء ، قال نعم ، ذلك وكل ما تشتهون

ضربنا في أرض بلقع يتخللها عمران قليل ، حتى بلغنا بلداً
اسمه شاه عباس ، بينه وبين أصفهان خمس وعشرون دقيقة ، فتغير
مرأى الأرض ، وبدت لنا الأشجار والزررع والمياه ، وما زلنا
في أرض غمصة مخضرة حتى دخلنا المدينة والساعة تسع وخمس
دقائق من مساء السبت حادي عشر رجب (٢٠ أكتوبر)

أصفهان : مدينة العراق المعجمي ، على ٤٣١ كيلاً الى الجنوب
من طهران ، وعرضها ٣٢ درجة وطولها ٤٩ ، وارتفاعها ١٣٤٤ .
وهي في سهل واسع خصب ، حسن الهواء كثير الماء والشجر ؛
قال ياقوت : « وكانت مساحة أصفهان (أي الأقليم) ثمانين فرسخاً
(١) يقول الفرس اصفهان نصف جهان . أي أصفهان نصف العالم

في مثلها ، وهي ستة عشر رستاقياً كل رستاقي ستون وثلاثمائة قرية
قدمة سوى المحدثه . ولا ريب أن في رواية ياقوت غلواً تابع
فيه الأقوال الشائنة . وقد قال هو عن اصفهان : « مدينة عظيمة
مشهورة ، من أعلام المدن وأعيانها . ويسرفون في وصفها حتى
يتجاوزوا حد الاقتصاد »

وقد أدى الى إغراق الناس في وصف أصفهان وأقليمها
استبحار العمران هناك ، وكثرة القرى ، والمياه والزررع . وقد
حدثني مهندس ألماني في مدينة أصفهان أن من بقاع اصفهان بقعة
يسير فيها السائر خمسة عشر كيلاً بين الأشجار . ويُنبت الأقليم
القطن والتبغ والبطيخ وكثيراً من الفاكهة

والمدينة على نهر زنده رود (النهر الحلي) ، ويسمى اليوم
زائنده رود (النهر الورد) . حدثني رجل أنه سعى بهذا
لانبجاس مياهه من الأرض في مواضع كثيرة . قال ياقوت :
« زنده رود نهر مشهور عند اصفهان ، عليه قرى ومزارع ؛ وهو
نهر عظيم أطيب مياه الأرض وأعذبها » . وقال في موضع آخر :
« وقد وصفه الشعراء فقال بعضهم :

لست آسى من اصفهان على شيء ، سوى ماؤها الرحيق الزلال
ونسيم الصبا ومنخرق الریح وجو صاف على كل حال
ولها الزعفران والمسلى الما ذى والصفان تحت الحلال »
وكذلك قال الحجاج لبعض من ولأه اصفهان : قد ولتنيك
بلدة حجرها الكحل ، وذبابها النحل ، وحشيشها الزعفران .
وقال آخر :

لست آسى من اصفهان على شيء ، أنا أبكي عليه عند رحلي
غير ماء يكون بالمسجد الجا مع صاف مزوق مبدول . اه
ولعل قول كل من هذين الشاعرين « لست آسى » لما تحدث
به القدماء من وصف أهل اصفهان بالبخل . وقد حكى عن الصاحب
ابن عباد أنه كان إذا أراد الدخول الى اصفهان قال : من له حاجة
فليسألنيها قبل دخولي الى اصفهان ، فاني إذا دخلتها وجدت بها
في نفسي شحاً لا أجده في غيرها . وقد روى ياقوت بيتين كتبنا
في بعض الخانات التي في طريق اصفهان :

قبح السالكون في طلب الرزق على أيدج الى اصفهان
ليت من زارها فعاد اليها قد رماه الآله بالخذلان

المدينة . وجاءنا بعد قليل رئيس البلدية خيئانا وقال إنه يود أن نزل داراً خاصة في ضيافة الحكومة ، فشكرنا له وللحكومة هذه الحفاوة ، وآثرنا أن نبقى في الفندق ، فأبلغنا دعوة الحاكم إيانا الى العشاء في داره عدأ

لم يمكننا الأعياء من التجول في المدينة تلك الليلة ، ولكن نعمنا بمراى أشجار الحور الباسقة تنثر على الأرض ضوء القمر ، كما تتناثر في خيالنا ذكرى الماضى المجيد من هذه البلدة الخالدة ، التى نشأت من علماء الأسلام الأعلام أمثال أبى الفرج الأصفهاني وداد بن على صاحب المذهب الظاهري ، وأبى نعيم صاحب الحلية ، وحمزة المؤرخ

وكننا نسمع في الحين بعد الحين جلجلة الأجراس في أعناق الابل أو الثيران السائرة في المدينة . وهذا صوت مطرب في جوف الليل ، ولكنه يذهب بالنوم . وغدونا الى دار الحكومة فقابلنا حاكم أصفهان وهو أحد الوزراء السابقين ، ورجال الصحافة القدماء ، وكان له جريدة تسمى صور اسرافيل فقلب اسمها عليه فهو اليوم يسمى قاسم صور اسرافيل ، ويتسمى هو بهذا الاسم ويكتبه على بطاقته ، وكذلك جاء الى دار الحكومة نفر من الألمان ، منهم الدكتور شميت الصحافي الذى ينشر جريدة في أنقرة الآن ، وكان مندوباً الى مؤتمر الفردوسى ولكنه تأخر خرجنا لرؤية آثار اصفهان الرائعة . وإنى أشفق على القارىء أن أصف المساجد والقصور التى رأيناها وصفاً مفصلاً ، فمن شاء أى يرى صور هذه الآثار فليذهب الى الجمعية الجغرافية ليرى قاعة المحاضرات مزودة بصور كثيرة من الآثار الفارسية ، أعظمها وأجملها آثار اصفهان

في المدينة ميدان كبير قال لنا مهندس ألماني إنه أكبر من ميدان الكنكورد في باريس ومن كل ميدان في مدينة وكان هذا الميدان للعب الكرة والبولجان على ظهور الخيل (الجوكان) ، ولا تزال فيه العمدة الخشبية التى تُعظم غاية اللعب . وفي وسطه حوض كبير تنبجس منه نافورات قوية ؛ وهى من آثار الصفويين ، وقد أصلحت أخيراً ويحيط بالميدان آثار السريين : مسجد الشاه ومسجد

وعلى نهر اصفهان اليوم ثلاث قناطر من عجائب الآثار ، أكبرها قنطرة « اللهوردى خان » أحدقواد الشاه عباس ، وتسمى اليوم « بلسى وسه جشمه » ، أى القنطرة ذات الثلاث والثلاثين عيناً . وهى مبنية بالحجارة الضخمة ، تسير فوقها طريق واسعة لها جدران عالين . والنصف الأسفل من عيونها يمد بالخشب إذا أريد حبس الماء ، وعلى جانبي العيون في قاع النهر سنادان من الحجر يسير عليهما الناس حين انخفاض الماء

ومدينة اصفهان قديمة ذكرها بطليموس . وكانت ذات مكانة عظيمة قبل الأسلام ؛ ولم تزل في الأسلام معدودة من أمهات المدن الفارسية

وقد تقلبت بها غير كثيرة واهتمت بالسيطرة عليها كل الدول الإسلامية الشرقية ، فتولى أمرها السامانيون والبويهيون والغزنويون والسلاجقة ، وكان السلطان ملكشاه السلجوقى يجب المقام بها . ولما سالت على السلمين كوارث التتار ، ساروا إليها سنة ٦٢٥ فدهمهم عنها البيطال العظيم جلال الدين خوارزمشاه ، ولما كانت الدولة التيمورية نار أهل أصفهان على الجبار تيمورلنك سنة ٧٩٠ فقتلهم حتى قيل إنه جمع سبعين أنف رأس فبنى بها أمراً

وأجد عهد اصفهان عهد الدولة الصفوية ، ولا تزال آثارها ناطقة بما كان لما من جلال وجمال في ظل هذه الدولة

وقد بلغ سكانها في ذلك العهد ستمائة ألف ، وكان بها ثمانية وثلاثون ألف دار ، واثنان وستون ومائة جامع ، وثمان وأربعون مدرسة ، وثلاث وسبعون ومائتا حمام ، وثمانمائة وألف خان ، (كاروانسرائى) وكان محيطها فيما يقال أربعة وعشرين ميلاً

ولما أغار الأفغانيون على إيران وقضوا على الدولة الصفوية ، ثم صارت طهران دار الملك تناقص عمران المدينة ، ودالت دولتها ، وسكانها اليوم ثمانون ألفاً ، ومحيطها ميلان ، ولكن لها شأنًا عظيمًا في التجارة والصناعة

دخلنا المدينة ليلاً ، فأوتينا إلى فندق اسمه (فندق الفردوس) . وكان يسمى الفندق الأمريكى ، وهو في شارع واسع مشجر قديم يقال إن أشجاره من عهد الشاه عباس الكبير ، وهو أعظم شوارع

اللَّهُ قَدْ عَبَدُوا

للأستاذ فخري أبو السمود

وَيَلِي عَلَى أُمَّةِ الْإِسْلَامِ خَاضِعَةً
مَنْ قَالَ لِي: مَنْ يَقْرَأُ الصِّمِّ؟ قُلْتُ لَهُ:
فِي مَشْرِقِ الْأَرْضِ قَدَدَانُ وَمَغْرِبِهَا
فِي رِبْقَةِ الظُّلْمِ هُمْ جَادُوا وَهُمْ ذَمُّوا
صَاوَأَ وَصَامُوا الْبَارِيَهُمْ تَطَلَّاهُمْ
يَا لَيْتَ شِعْرِي أَلِدَيَّانِ مَا قَتَنُوا؟
يَا قَوْمُ مِنْ شِرْعَةِ الْإِسْلَامِ دِينِكُمْ
أَتَرْتَضُونَ سِوَى الرَّحْمَنِ مُحْتَكِمًا؟
اللَّهُ لَيْسَ يُحِبُّ الَّذِينَ مِنْ أُمَّةٍ
أَعَلَّ أذُنِي إِلَيْهِ فِي مَرَاتِبِهِ
أَخِي عَلَيْكُمْ بِحُنْدٍ مِنْ عَزَائِمِهِ
لَوْ لَا تَفَاقَمَ هَذَا الْجَهْلُ بَيْنَكُمْ
لَا يَبْتَاعُ الْعِرْزَ قَوْمٌ عَنْ جَهَالَتِهِمْ
إِنَّا تَوَوَّسُوا الضَّحَى لَيْسَتْ تُرَايِلُنَا
مَا دَامَ ذَا الْجَهْلِ يَمْشِي بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ
قَدَدَكُمْ بِاللَّيْلِ فِيكُمْ فَلَا كَذِبُ
كَمْ تَقْتَمُونَ بِدُونِ الْعَيْشِ مَرْتَبَةً
مَنْ لِي يَعْبُدُ بِهِ أَبَاؤُنَا مَلَكُوا
لَا يَقْبَلُونَ وَصَاةَ الْأَوْصِيَاءِ وَلَا

أَحْكَامَ مَنْ أَسْرَفُوا فِي الْحُكْمِ أَوْ قَصَدُوا

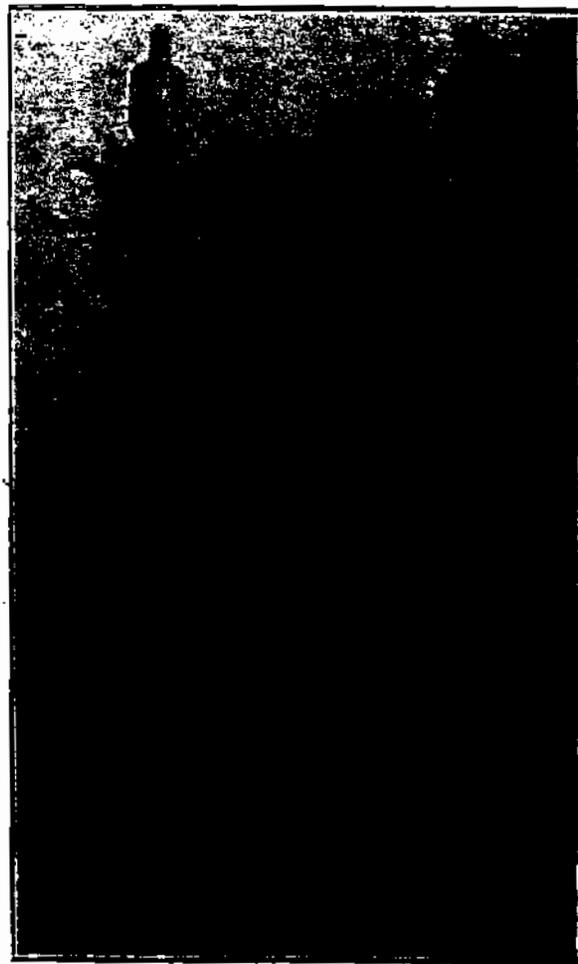
اللَّهُ قَدْ عَبَدُوا دُونَ الْوَرَى وَلَهُ

بِذَلِكَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ قَدْ شَهِدُوا

فخري أبو السمود

الشاہ لطف اللہ والباب العالی والسوق

مسجد الشاہ من أجل مساجد السليين ، بل من أعظم
آثار العالم قاطبة ، بناء ضخيم وهندسة محكمة ، وصنعة الكاشاني
والكتابة والنقش لم تدع مزيداً لصانع أو ناظر . ولا يرى مقدار
شبر في جدر المسجد أو إيواناته أو قبابه خالياً من هذه الصنعة ،
فقد أفرغ الجمال على هذا المسجد كتابة ونقشاً وتلويناً



مدخل جامع الشاه باسبهان

وفوق إيوان القبلة قبة شاهقة تملوها قبة أخرى ، وبسهما
سنة عشر متراً ، فاذا وقف للإنسان في مركز القبة وصفق بيديه
صفقة خفيفة ، أو تكلم بصوت خافت ، أو حك الأرض برجله
انبث الصدى عالياً مدوياً مررداً في القبة أكثر من عشرات
ومسجد الشاه لطف الله أضمر من هذا ، ولكن فيه من
الفنون دقائق عجيبة ، وفيه طبقة تحت الأرض للصلاة في الشتاء

عبد الوهاب عزام

(يتبع)